اوصاف المنافقون في القرآن الكريم

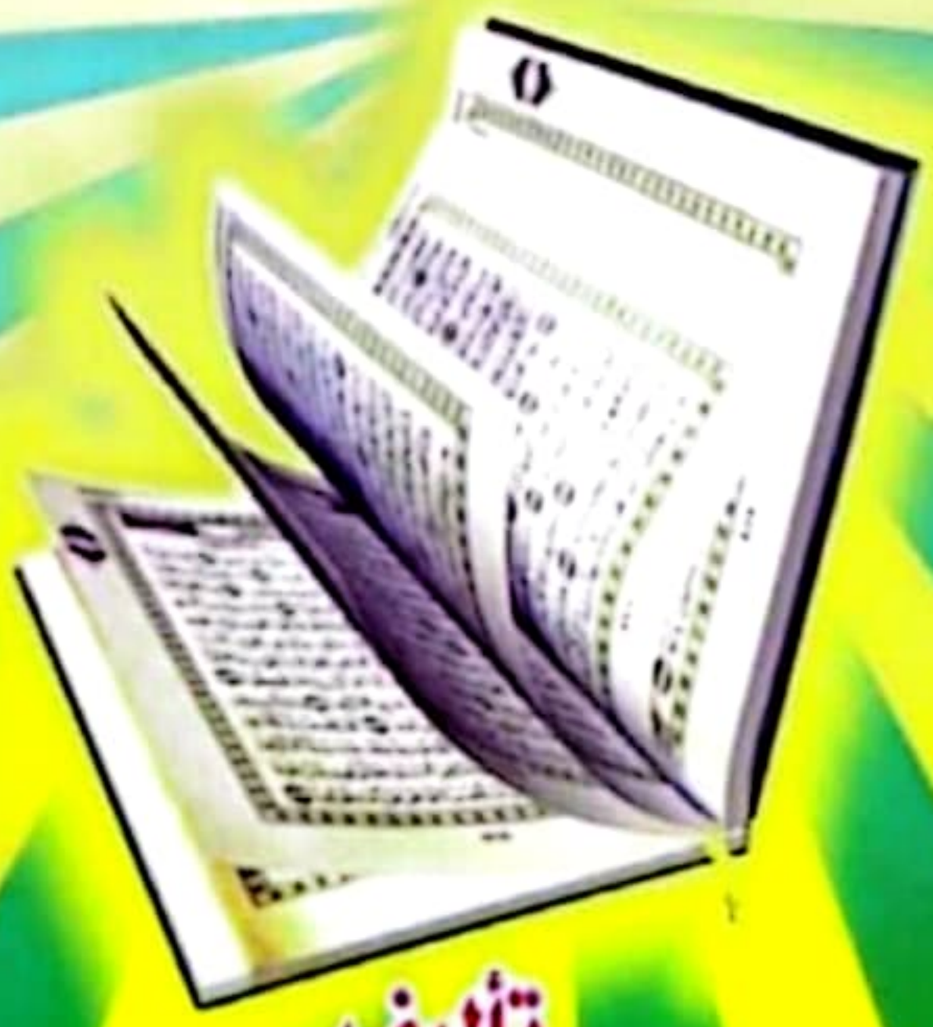

تأليف
سماحة السيد حسين السيد اسماعيل الصدر
(دام ظله).

أوصاف المنافقين

في

القرآن الكريم

تأليف

سماحة السيد حُسين الصدر

-دام ظله-

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين
والصلاة والسلام على نبيّنا محمد
وعلى آله الطيبين الطاهرين
وأصحابه المنتجبين

طبيعة المنافقين

قال تعالى في سورة التوبة/آية/٦٧:-

﴿وَالْمُنَافِقُوْنَ وَالْمُنَافِقَاتِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُوْنَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوْفِ وَيَقْبِضُوْنَ أَيْدِيهِمْ نَسُوْا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ هُمُ الْفَاسِقُوْنَ﴾

المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض، هذه كناية عن تقاربهم وتشابههم وصفاً وعملاً، فإنّهم من طبيعة واحدة وشجرة واحدة وطينة واحدة، والمنافقون دائماً وأبداً تختلف أفعالهم وأقوالهم وذلك يرجع إلى وحدة الطبيعة، ووحدة النفسية، ووحدة المعين فإنّهم يجمعهم، لؤم السريرة، وسوء الطوية، والدسّ والغمز والجبن عن المصارحة، والضعف عن المواجهة، تلك هي طبيعتهم الأصيلة في نفوسهم، وأما سلوكهم في المجتمع فهو:-

﴿يَأْمُرُوْنَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوْفِ ﴾

والمنكر الذي كانوا قد أمروا به هو الكفر والنفاق، والمعروف الذي كانوا قد نهوا عنه هو الإيمان وطاعة الله والإمتثال لرسوله الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا يفعلون ذلك

إلاّ همســاً ودسّــاً وغمزاً، لا يعرفون ولا يحســبون إلاّ حساب الناس وحساب المصالح الشخصية، فإنّهم قد نسوا الله وذلك بتركهم طاعة ربّهم وعدم امتثالهم لأوامره (فنســيهم) فكذلك اللهﷻ نسيهم، ونسيانه لهم حرمانهم من رحمته ولطفه وكرمه، فلا قيمة لهم ولا حُسن ختام، كذلك هم في الدنيا وأنّهم لكذلك في الآخرة في سوء المآل، يوم يدعو الداع:-

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ هُمُ الْفَاسِقُوْنَ﴾

فهم خارجون عن الإيمان بعد أن انحرفوا عن ســبيل الرحمن واتّخذوا سبيل الشيطان.

قال تعالى في سورة التوبة/آية/٦٨:-

﴿وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِيْنَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارِ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِيْنَ فِيْهَا هَيَ حَسْــبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيْمٌ﴾

بعد أن بيّنَ اللهﷻ طبيعة المنافقين ومســاوئهم، وعدَهم ســبحانه مصــيراً كمصــير الكفار، وتوعّد كل كافر بنار جهنم والبقاء فيها خالداً ﴿نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِيْنَ فِيْهَا﴾ وهذه النار هي جزاء كافٍ على أعمالهم ﴿هَيَ حَسْــبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ﴾ وذلك

بإبعادهم عن رحمته ولطفه وعنايته، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيْمٌ﴾ فلا يُخفّف ولا ينقطع.

وإنَّ لهذه الطبيعة (النفاق) المنحرفة الضـــالّة أمثالاً ونظائر في تاريخ البشـــرية، فلقد جاءت في تاريخ البشـــرية نماذج كثيرة من هذا الطراز وهذه الأنماط حصـــدوا ما كانوا يزرعون، ونالوا نتاج فســـقهم حين تركوا الطريق المســـتقيم والفطرة القويمة، بعد أن أخذوا نصـيبهم من الدنيا واسـتمتعوا برزقهم المقدّر لهم في الأرض وقد كانوا أشـد قوة وأكثر أموالاً وأولاداً.

قال تعالى في سورة التوبة/آية/٦٩:-

﴿كَالَّذِيْنَ كَانُوْا مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوْا أَشَدَّ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدَاً فَاسْتَمْتَعُوْا بِخَلاَقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِينَ خَاضُوْا أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُوْنَ﴾

الخطاب موجّه إلى المنافقين المعاصـــرين للرســـول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم)، فيقول لهم سبحانه وتعالى:-

أنتم أيّها المنافقون في عصر الرسول، لا تختلفون عمّن سبقوكم من الأمم السابقة وواكبوا أنبيائي ورُسلي، إنّهم استمتعوا من ملاذ الدنيا، وكانوا أقوى منكم وأكثر أموالاً وأولاداً، وها أنتم قد استمتعتم أيضاً بنصيبكم من حطام هذه الحياة الدنيا، وخضتم في الباطل كما خاضوا وأسرفوا على أنفسهم، ﴿أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ وجعلها الله(تعالى) هباءاً منثوراً لأنّها كالنبتة بلا جذور، وإن كانت لهم حسنات كالعيش بكدِّ اليمين وعرق الجبين، فليس لما عملوا من أجر وثواب يوم الدين، ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُوْنَ﴾ لأنّهم أجهدوا أنفسهم وأتعبوا عقولهم في تدبير الدسائس على المؤمنين، وإيقاع الفتنة، ثم دارت عليهم الدوائر في الدنيا ولهم في الآخرة أسوأ مصير، (وعلى الباغي تدور الدوائر).

والمعنى بإيجاز أنَّ اللهﷻ خاطبَ المنافقين المعاصرين للرسول الأمين(صلى الله عليه وآله وسلم):-

اتركوا الكفر والنفاق، واتّعظوا بالذين خلوا من قبلكم

قبل أن تكونوا عضة لغيركم، هؤلاء المنافقين ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوْحٍ وَعَادٍ وَثَمُوْدَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيْمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوْا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ﴾[1]

ألم يسمع المنافقون بنبأ الذين كانوا قبلهم ممن ساروا في نفس الطريق كقوم (نوح)عليه السلام وقد أفناهم الله(تعالى) بالغرق والطوفان، وكقوم عاد وقد أبادهم الله(تعالى) بريح صرصر عاتية؟.. و(ثمود) إذ أخذتهم الصيحة والرجفة وأُحيط بهم؟.. وقوم (إبراهيم)عليه السلام بسلب النعمة عنهم وإهلاك طاغيتهم نمرود؟.. وأصحاب (مدين) وقد خنقتهم الظلّة وأخذتهم الرجفة؟.. و(المؤتفكات) أي المنقلبات وهي ثلاث قرى لقوم (لوط)عليه السلام جعل الله(سبحانه) عاليها سافلها؟!.. هؤلاء جميعاً من قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم إبراهيم وقوم شعيب وقوم لوط ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالحجج والمعجزات ولكن كذبوا بها، فأخذهم الله(تعالى) بذنوبهم،﴿فَمَا كَانَ اللهُ

---

[1] سورة التوبة/آية/ ٧٠.

لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكْنْ كَانُوْا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ﴾ أي ما ظلمَهم الله(تعالى) بإهلاكهم ولكن عاقبهم باستحقاق إذ كذبوا رسل الله إليهم –كما تفعلون أنتم أيّها المنافقون– فأهلكهم الله بكفرهم وعصيانهم.

نعم إنَّ النفوس المنحرفة المبينة على النفاق تعميها النعمة، وتبطرها القوة، فلا تنظر ولا تذكّر، فلا يستشعرون مصير من كانوا قبلهم من الأقوياء، عندئذ تحقُّ عليهم لعنة الله وتجري فيهم سنّته حينئذٍ يأخذهم أخذ عزيز مقتدر وهم في نعمائهم يتقلبون وفي خيلائهم وبطشهم سارحون، والله من ورائهم محيط.

إنّها وأيم الحقّ لجهالة جهلاء وغفلة عمياء، ألم يتذكروا؟.. وأنّى لهم الذكرى.. فالجهالة والغفلة والعمى تصاحب النعمة والقوة،﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴾إلاّ من رحم الله من عباده الصالحين المخلصين.

قال تعالى في سورة التوبة/آية/٧٣:–

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِيْنَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيْرُ﴾

لقد ســـامحَ الرســـول(صـــلى الله عليه وآله وســـلم) المنافقين كثيراً وصفح وأغضى عنهم، وداراهم باللين والحلم كثيراً، فما أجدى، بل سوّلت لهم جرأتهم على فيوضات مكارم النبيّ(صلى الله عليه وآله وســـلم) أن طعنوا فيه بأنّه أُذن!!.. فكان لابد من اتّباع خطة جديدة، فأمَرَه الله(تعالى) بأن يلحقهم بالكافرين ويحاربهم وأن يغلظ عليهم ويجاهدهم جهاداً عنيفاً وشـــديداً لا رحمة فيه ولا هوادة.

قال تعالى في سورة التوبة/آية/ ٧٤:-

﴿يَحْلِفُوْنَ بِاللهِ مَا قَالُوْا وَلَقَدْ قَالُوْا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوْا بِعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّوْا بِمَا لَمْ يَنَالُوْا وَمَا نَقَمُوْا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُـوْلُهُ مِنْ فَضْـلِهِ فَإِنِ يَتُوْبُوْا يَكُ خَيْرَاً لَهُمْ وَأَنْ يَتَوَلَّوا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَاباً أَلِيْماً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِنْ وَلِيّ وَلاَ نَصِيْرٍ﴾

سبب نزول هذه الآية المباركة هو ما روي:-

أنَّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) كان جالساً في ظلِّ شجرة، فقال:-

﴿إنّـه ســـيأتيكم إنســـان فينظر إليكم بعينـيَ الشـيطان، فإذا جاء فلا تتكلموا، فلم يلبثوا أن طلعَ رجل أزرق، فدعاه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فقال لـه:-

علام تشـــتمني أنت وأصـــحابك؟.. فانطلق الرجل وجاء بأصـحابه، فحلفوا بالله ما قالوا، فأنزل الله(سبحانـه) هذه الآيـة﴾

وقيل في سبب النزول أيضاً:-

أنّه لما خرج المنافقون مع رسول الله إلى (تبوك)، فكانوا إذا خلا بعضـهم ببعض، سبّوا رسـول الله وأصـحابه وطعنوا في الدين، فنقلَ ذلك (حذيفة) إلى النبيّ، فقال لهم:-

﴿مـا هذا الذي بلغنـي عنكم﴾

فحلفوا بالله ما كانوا كذلك ولم يقولوا شـــيئاً منه، فنزلت هذه الآيـة.

وهذه الآيـة تكشـــف بكل وضـــوح عن دخيلة المنافقين وطبيعتهم، وسيرتهم وعن طريقتهم في المداهنة والخداع.

﴿يَحْلِفُوْنَ بِـاللهِ مَـا قَـالُوْا وَلَقَـدْ قَـالُوْا كَلِمَـةَ الْكُفْرِ﴾

من الواضـــح أنَّ الضـــمير في (يحلفون) و (قالوا) يعود إلى جمـاعـة من المنـافقين، فـإنّهم كفروا، ولمـا ســـــألهم الرسـول(صـلى الله عليه وآله وسـلم) وحلفوا على أنّهم لم يكفروا، فكذّبهم الله وأثبتَ صحة ما نسبَ إليهم.

﴿وَكَفَرُوْا بِعْدَ إِسْـلاَمَـهِمْ﴾أي أنَّ المنافقين ظهرَ كفرهم بعد أن كان باطناً وبعد أن كانوا يتظاهرون بالإسلام.

﴿وَهَمَّوْا بِمَـا لَمْ يَنَـالُوْا﴾قيـل أنَّ المنـافقين همّوا بقتـلِ النبيّ ليلة العقبة، وقيل أنّهم همّوا بإخراج النبيّ(صـــلى الله عليه وآله وســـلم) من المدينـة فلم يبلغوا ذلك، وقيل أنّهم همّوا بالفســـاد والتخريب بين أصحابه ولم ينالوا ذلك أيضاً.

﴿وَمَا نَقَمُوْا إِلاَّ أنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُوْلُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ضـمير (نقموا) و (أغناهم) يعود إلى المنافقين، وقد كان كثير منهم يقاســـي الفقر والبؤس وضـــيق العيش قبل أن ينطقوا بكلمة الإســـلام، وبعد أن نطقوا بها بأطراف ألســـنتهم، نزلت عليهم الأرزاق، لأنَّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) كان يساويهم في جميع الغنائم مع ســـائر المســـلمين، فكان جزاؤه منهم أن قالوا

عنه ما قالوا، ثم أرادوا اغتياله وقتله، نعم، إنّها طبيعتهم الحقيرة ونفسيتهم المريضة.

﴿فَإِنِ يَتُوْبُوْا يَكُ خَيْرَاً لَهُمْ﴾ باعتبار أنَّ باب التوبة مفتوح على مصراعيه، بعد الاعتذار والندم لما سلف والعزم على الصدق لما يأتي.

﴿وَأَنْ يَتَوَلَّوا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابَاً أَلِيْمَاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ أما عذابهم في الآخرة فواضح.. (جهنم) وبئس المصير، وأما عذابهم في الدنيا، فلأنَّ المنافقين في خوف وغمّ دائمين من أن يفضح أمرهم ويُعرّون للملأ بِهَتْكِ سترهم.

﴿وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِنْ وَلِيّ وَلاَ نَصِيْرٍ﴾ فمن الواضح أنَّ المنافقين ليس لهم محبّ ومشفق ولا نصير، ومن يجرأ أن ينصر عدوّاً لله ولرسوله وللمؤمنين حين تتكشف عوراته وتبدو سيئاته واضحة أمام الملأ!!.

ويصف لنا الإمام علي بن الحسين(عليهما السلام) طبيعة المنافقين، فقد روى الحسين بن محمد، عن محمد بن

جمهور، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصـــم، عن الهيثم بن واقد، عن محمد بن سـلمان، عن ابن مسـكان، عن أبي حمزة، عن علي بن الحسين(عليهما السلام) أنّه قال:-

﴿إنَّ المنـافق ينـهى ولا ينتـهي، ويـأمر بمـا لا يأتي، وإذا قام إلى الصـلاة اعترض، قلت: يا ابن رســـول الله، ومـا الاعتراض؟.. قـال: الالتفـات، وإذا ركع ربض، يمســـي وهمّـه العشـاء وهو مفطر، ويصبح وهمّه النوم ولم يســـهر، إذا حدثك كذبك، وإن ائتمنته خانكَ، وإن غبت اغتابك، وإن وعدك أخلفك﴾

-الكافي-

بعض
صفات المنافقين

قال تعالى في سورة التوبة/آية/(٧٥-٧٦):-

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُوْنَنَّ مِنَ الصَّالِحِيْنَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوْا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُوْنَ﴾

من المنافقين من عاهدَ الله(سبحانه) وقت الفقر والشدة وساعة الضنك والعسر، لئن رزقنا من فضله وكرمه وجوده، نعطي الصدقة ونصلح العمل ونكون من الصالحين، ولكن عندما استجاب الله(سبحانه) لهم وآتاهم من فضله ورزقهم من كرمه وجوده، نسوا عهده، وتنكّروا لوعدهم الذي وعدوا.

وجاء في سبب نزول هذه الآية المباركة أنَّ أحد الأنصار وهو ثعلبة بن حاطب، قال لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):- أدعُ الله أن يرزقني مالاً.. فقال له:-

﴿يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه، أما لك في رسول الله أُسوة حسنة، والذي نفسي بيده، لو أردتُ أن تسيرَ الجبال معي ذهباً وفضة لسارت﴾

ثم أتاه بعد ذلك، فقال:- يا رسـول الله(صـلى الله عليه وآله وسـلم) أدعُ الله أن يرزقني مـالاً، والذي بعثك بـالحقِّ نبيّاً، لأن رزقني الله مـالاً لأُعطيّنَ كل ذي حقٍّ حقّه.. فقال (صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿اللـهم ارزق ثعلبة مالاً﴾

فـاتّخـذ ثعلبـة بعض غنيمـات، فنَمـتْ كمـا ينمو الـدود!.. فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها، فنزلَ وادياً من أوديتها، ثم كثرت عليه حتى تباعدَ عن المدينة وأوديتها، واشـــتغلَ بذلك عن حضور الجمعة والجماعة، فبعثَ إليه رسول الله(صلى الله عليه وآله وســـلم) من يأخذ الزكاة منه، فأبى وبخل، وقال:- ما هذه إلاّ أخت الجزية!!.. فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿يا ويح ثعلبة﴾

وأنزل الله(تعالى) هذه الآيات.

وقيل نزلت في جماعة آخرين من المنـافقين، قال تعالى في سورة التوبة/آية/٧٧:-

﴿فَأعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوْبِهِمْ إِلَى يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوْا اللهَ مَا وَعَدُوْهُ وَبِمَا كَانُوْا يَكْذِبُوْنَ﴾

أي فأورثهم بخلهم بما أوجبوا لله(تعالى) على أنفسهم، النفاق في قلوبهم لا يفارقهم حتى الموت، فإنَّ الذي يعاهد الله(سبحانه) ثم يخلف العهد، والذي يكذب على الله فلا يفي بما وعد، لا يسلم قلبه من النفاق، ويذكر الله(تعالى) لذلك سببين:-

الأول: ﴿بِمَا أَخْلَفُوْا اللهَ مَا وَعَدُوْهُ﴾

الثاني: ﴿وَبِمَا كَانُوْا يَكْذِبُوْنَ﴾

وهذان الوصفان، الخُلْف بالوعد، والكذب في الحديث من أوضح وأخصّ صفات المنافقين.

قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿ثلاث مَن كُنَّ فيه، كان منافقاً وإن صام وصلى وزعم أنّه مسلم، مَن إذا أئتمن خان، وإذا حدّثَ كذب، وإذا وعدَ أخلف﴾

-السفينة-

قال تعالى في سورة التوبة/آية/٧٨:-

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللهَ عَلاَّمَ الْغُيُوبِ﴾

السرُّ ما تنطوي عليه الصدور، والنجوى الكلام الخفيّ

يتناجى به اثنان أو أكثر، والغيوب جمع غيب، وهو ما غاب عن جميع الخَلْق، فهل أنَّ المنافقين مع ادّعائهم الإيمان لا يعلمون أنَّ الله(تعالى) على سرائرهم مطّلع، وبما تُخفي صدورهم عالم، وبما يدور على ألسنتهم عارف، يحسبون ذلك سرّاً، فالله عالم بحقيقة النوايا التي في الصدور، فلا تخفاه خافية في الأرض ولا في السماء وهو بكلِّ شيء محيط.

قال تعالى في سورة التوبة/آية/٧٩:-

﴿الَّذِيْنَ يَلْمِزُوْنَ الْمُطَّوَعِيْنَ مِنَ الْمُؤمِنِيْنَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِيْنَ لاَ يَجِدُوْنَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُوْنَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ﴾

تذكر هذه الآية بعض صفات المنافقين وآثامهم واتّهاماتهم وأذاهم المتصل للنبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وللمؤمنين، ففي ذات يوم حثَّ النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) على البذل والسخاء في سبيل الله، فاستجاب المؤمنون من صحابته، وتطوّعَ بعضهم بالآلاف، وبعضهم بصاع من تمر، كلٌّ حسب طاقته وقدرته، فعابهم المنافقون وقالوا عن

المُكثر: أنّه يبذل رئاء، وعن المقل: أنّه يُذكّر بنفســه.. فقد ورد أنّه لمّا حثَّ النبيّ(صــلى الله عليه وآله وســلم) على البذل في ســبيل الله، أتاه عبد الرحمن بن عوف بِصُــرّة من دراهم تملأ الكفّ، وأتاه عتبة بن زيد الحارثي بصــاع من تمر، وقال: يا رســول الله،عملتُ في النخل بصــاعين، فصــاعاً تركته لأهلي، وصــاعاً أقرضــته ربّي، فقال معتب بن قشـير وعبدالله بن نبتل: إنَّ عبد الرحمن يحبُّ الريـاء ويبغي الذكر بذلك، وإنَّ الله غنيٌّ عن الصاع من التمر، فعابوا المكثر بالرياء، والمقل بالإقلال، وذلك إن شأن المنافقين الرياء فيما يقولون ويفعلون، فقاسوا الغير على أنفسهم.

قال تعالى في سورة التوبة/آية/ ٨٠:-

﴿اسْــتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْــتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْــتَغْفِرِ لَهُمْ سَــبِعِيْنَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرِ اللّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ كَفَرُوْا بِــاللّهِ وَرَسُــوْلِــهِ وَاللّهُ لاَ يَهْــدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِيْنَ﴾

جاء بعض المنافقين وطلبوا من النبيّ(صــلى الله عليه وآله وســلم) أن يستغفر لهم، فأنزلَ الله(تعالى) هذه الآية الكريمة، بأن لا يستغفر لهم، ولو استغفر لهم سبعين مرة، فلن يغفر الله

لهم، وهنا وردت كلمة ســـبعين بمعنى الكثرة والمبالغة، وأما عدم قبول الله(تعالى) لاستغفار رسوله الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) لهم بما أوضـــحه عزَّ من قائل من قبح دخائلهم وفســـاد ضمائرهم، حيث قال ﴿ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ كَفَرُوْا بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِيْنَ﴾ وإنَّ طلَبَهم هذا نفاق ورياء، أما في واقعهم، فهم مُصـــرّون على الكفر والعناد، وإنّما يتقبّل الله من المتقين لا من المنافقين الذين يقولون ما لا يفعلون.

قال تعالى في سورة التوبة/آية/٨١:-

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُوْنَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُـــوْلِ اللهِ وَكَرِهُوْا أَنْ يُجَاهِدُوْا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِـــهِمْ فِي سَـــبِيْلِ اللهِ وَقَالُوْا لاَ تَنْفِرُوْا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوْا يَفْقَهُوْنَ ﴾

ومن صفات المنافقين هو فرحهم في القعود عن الجهاد والتخلف عن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد أخبرَ الله(سبحانه) فيما سبقَ طلب بعض المنافقين من النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) في القعود عن الجهاد، وفي هذه الآية أخبرَ الله ﷻ عن فرحهم بهذا القعود مخالفة لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)،

وكراهية للجهاد بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله. ﴿وَقَالُوْا لاَ تَنْفِرُوْا فِي الْحَرِّ﴾ وهي قولة من ضعفت همّته، وهزلت نخوته، وخوت مروءته، قولة الذين لا يصلحون لشيء مما يصلح له الرجال:﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرَّاً لَوْ كَانُوْا يَفْقَهُوْنَ﴾ فإنَّ المنافقين خافوا على أنفسهم من حرِّ الدنيا، ولم يخافوا ولم يشفقوا عليها من نار جهنم، وهي أطول أمداً وأشد تحريقاً، والواقع أنَّ من ترك جهاد البغاة الغاصبين أكسبه الله(تعالى) العار وألبسه لباس الذل في الدنيا، وما غُزِيَ العرب والمسلمون في عقر دارهم إلاّ حين تواكلوا وتخاذلوا، وآثروا الخزي والمذلة على الاستشهاد من أجل العزّة والكرامة..

قال تعالى في سورة التوبة/آية/٨٢:-

﴿فَلْيَضْحَكُوْا قَلِيْلاً وَلْيَبْكُوْا كَثِيْرَاً جَزَاءاً بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ﴾

فإنَّ المنافقين الذين تخلّفوا عن الجهاد، وفرحوا بمقعدهم عنه، فإنَّ هذا الفرح والسرور الذي تُعبّر عنه الآية المباركة بالضحك، مدته قصيرة وليس هو بشيء إذا ما

قِيسَ بما سيلقونه من الذل والهوان والخزي في الدنيا، وهم في الآخرة أذلُّ وأخزى ولهم نار جهنم وعذاب أليم.

قال تعالى في سورة التوبة/آية/٨٣:-

﴿فإنْ رَجَعَكَ اللهُ إلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأذَنوكَ لِلْخُرُوْجِ فَقَلْ لَنْ تَخْرَجُوْا مَعِي أَبَدَاً وَلَنْ تُقَاتِلُوْا مَعِي عَدُوَّاً إنَّكُمْ رَضِيْتُمْ بِالْقُعُوْدِ أَوّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوْا مَعَ الْخَالِفِيْنَ﴾

يا أيّها الرسول، إن أرجعكَ الله من غزوة (تبوك) إلى المدينة ورأيت جماعة من المنافقين الذين تخلّفوا عن الجهاد، وعن الخروج معك﴿فَاسْتَأذَنَوكَ لِلْخُرُوْجِ﴾ معك إلى غزوة أخرى ﴿فَقَلْ لَنْ تَخْرَجُوْا مَعِي أَبَدَاً وَلَنْ تُقَاتِلُوْا مَعِي عَدُوَّا﴾ ثم بيّنَ (سبحانه وتعالى) سبب النهي عن إخراجهم مع النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وسبب عدم اشتراكهم في قتال العدوّ بقوله:﴿إنَّكُمْ رَضِيْتُمْ بِالْقُعُوْدِ أَوّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوْا مَعَ الْخَالِفِيْنَ﴾ أي أنّكم أيّها المنافقون ما دمتم قد تخلّفتم عن النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) ساعة العسرة والشدّة، فقعدتم مع الصبيان والنساء والعَجَزة، فلن تُصاحبوا النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ذلك.

قال تعالى في سورة التوبة/آية/ ٨٤:-

﴿وَلاَ تُصَـــلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدَاً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوْا بِاللهِ وَرَسُـــوْلِهِ وَمَاتُوْا وَهُمْ فَاسِقُوْنَ﴾

يا أيّها النبيّ لا تعامل المنافقين معاملة المسلمين، ولا تُصلِّ عليهم كما تصـــلي على المســـلمين، لأنّه كان من عادة النبيّ(صـلى الله عليه وآله وسـلم) إذا مات أحد أصـحابه يصـلي عليه ويقف على قبره يستغفر له، ويقول لمن حضر معه:-

﴿استغفروا لأخيكم، وسلوا التثبيت له، فإنّه الآن يُسأل﴾

وبعد أن نزلت هذه الآية، امتنع النبيّ(صـلى الله عليه وآله وسـلم) من الصـــلاة على المنـافقين والوقوف على قبورهم للـدعـاء والاستغفار لهم، وسبب هذا النهي كما ورد في الآية:-

﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوْا بِـاللهِ وَرَسُـــوْلِـهِ وَمَـاتُوْا وَهُمْ فَاسِقُوْنَ ﴾

قال تعالى في سورة التوبة/آية/٨٥:-

﴿وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ أَوْلاَدَهُمْ إِنَّمَا يُرِيْدُ اللهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُوْنَ﴾

الخطاب للرسول الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم): يا أيّها النبيّ، لا تعجبك أموال المنافقين وأولادهم، لأنَّ الإعجاب نوع من التكريم الشعوري لهم، وهم لا يستحقّون ذلك، إنّما يريد الله(تبارك وتعالى) أن يعذّبهم بأموالهم وأولادهم في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون.. قال تعالى في سورة التوبة/آية/(٨٦-٨٧):-

﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُوْرَةٌ أَنْ آمِنُوْا بِاللهِ وَجَاهِدُوْا مَعَ رَسُوْلِهِ اسْتَأذَنَكَ أُوْلُوْا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوْا ذَرْنَا مَعَ الْقَاعِدِيْنَ رَضُوْا بَأَنْ يَكُوْنُوْا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قَلُوْبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُوْنَ﴾

إنّها طبيعة النفاق والضعف والوهن والذل، وأنّها خطّة الالتواء والاعوجاج، فإن نزلت سورة تأمرهم بالجهاد، جاء أهل القوة والمال يعتذرون عن الجهاد ويطلبون القعود مع النساء والعَجَزَة، دون أن يشعروا ما في هذا القعود من الذل والهوان لهم.

أعذار المنافقين

قال تعالى في سورة التوبة/آية/ ٩٤:-

﴿يَعْتَذِرُوْنَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لاَ تَعْتَذِرُوْا لَنْ نُؤمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأنَا اللّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُوْلَهُ ثُمَّ تُرَدُّوْنَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ﴾

هذه الآية الكريمة نزلت بعد رجوع النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم)، والمسلمين من غزوة (تبوك)، فقد أخبر الله(سبحانه) النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين فيها أنَّ المنافقين الذين تأخروا عن الخروج معهم إلى الجهاد في غزوة (تبوك) سيستقبلونكم حين تصلون إلى المدينة معتذرين عن تخلفهم وقعودهم وعدم خروجهم معكم إلى الجهاد، ولكنهم يعتذرون كذباً وباطلاً وزيفاً وخداعاً..

ولذا قال الله(تبارك وتعالى) لرسوله الأمين(صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿قُلْ لاَ تَعْتَذِرُوْا لَنْ نُؤمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأنَا اللّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾، وقد نهى الله أن يقبلوا عذراً من المنافقين.. وأمَرَ رسوله أن يقول لهم: لا أُصدقكم في شيء مما تعتذرون، ولن نطمئنّ

إليكم، ولن نقبل معاذيركم، ولن نســـتمع لقولكم، لأنَّ الله(جلّ وعلا) قد أوحى إليَّ بما تُخفي صدوركم من الشرّ والنفاق وقد كشــفَ لي ما تنطوي عليه نواياكم من الغدر والخيانة، فلا تعتذروا إذ لا فائدة من الاعتذار واعملوا ﴿وَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُــوْلُهُ﴾.. أي نحن لا نقبل اعتذاركم أيّها المنافقون حتى تثبتوا في المســتقبل صــدق أقوالكم وأعمالكم وأنّكم صــادقون حقيقة فيما تنوون وما تهدفون، وأنّكم مخلصــون في إيمانكم بالله ورســـوله، كما تزعمون وتدّعون ﴿ثُمَّ تُرَدُّوْنَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّـــهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ﴾ فإنّكم أيّها المنافقون ســتُردّون إلى الله وســتقفون غداً بين يديه وهو لا تخفى خافية عليه في الأرض ولا في الســـماء، في الدنيا ولا في الآخرة، فيخبركم بأعمالكم وتصرفاتكم، وستجدون كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها، حينذاك تنالون الجزاء وأيّ جزاء؟.. إن خيراً فخيراً، وإن شرّاً فشرّاً، فكل نفس بما كسبت رهينة، وكل امرئ بما كسبَ رهين.

قال تعالى في سورة التوبة/آية/٩٥:-

﴿سَيَحْلِفُوْنَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوْا عَنْهُمْ فَاعْرِضُوْا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ﴾

الخطاب إلى النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) **وإلى المؤمنين، بأنَّ هؤلاء المنافقين والمخلّفين سيحلفون ويُقسمون بالله فيما يعتذرون به إليكم (إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ) ورجعتم من غزوة تبوك (لِتُعْرِضُوْا عَنْهُمْ) وتصفحوا عن جرمهم ولا توبّخوهم ولا تعنفوهم على تخلّفهم لقعودهم عن الجهاد، ثم أمرَ اللهﷻ نبيّه الكريم**(صلى الله عليه وآله وسلم) **والمؤمنين، فقال: (فَاعْرِضُوْا عَنْهُمْ) أي إعراض رد وتكذيب وإنكار ومقت وإهمال واحتقار وازدراء.**

وفي بعض الروايات أنَّ الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) **أمرَ المسلمين أن يُقاطعوهم، ثم بيّنَ (سبحانه وتعالى) سبب الإعراض والمقت والاحتقار بقوله: (إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ) الرجس بمعنى القذر ومجمل المعنى أنَّ صفة المنافقين كالشيء النتن، يجب الاجتناب**

عنــه، فــاحــذروا منهم وابتعــدوا عنهم لئلا يلوثوكم بـأرواحهم المتلوثـة وبـأعمـالهم القـذرة لانحرافهم عن الطريق المسـتقيم وعن جادة الحقّ والصـواب.. وفي الحديث الشـريف أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:-

﴿إيّاكم ومجالسة الموتى﴾

فقيل: من هم يا رسول الله؟.. قال:-

﴿كل ضالّ عن الإيمان، جائر في الأحكام﴾

قال تعالى في سورة التوبة/آية/٩٦:-

﴿يَحْلِفُوْنَ لَكُمْ لِتَرْضَوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِيْنَ﴾

حلفَ المنافقون في الآية السـابقة طلباً للصـفح وعدم مؤاخـذتهم على الجرم كمـا هو واضـح من قولـه تعـالى (لِتُعْرِضُـوْا عَنْـهُمْ) وحلفوا ثانياً طلباً لمرضـاتكم أيّها المؤمنون وحُسـن معاملتكم لهم، كما ورد في هذه الآية (لِتَرْضَـوا عَنْـهُمْ)..

ومن علامات المنافق كثرة الحلْف لشـعوره بأنّه متّهم بالكذب.

ثم خاطب (سبحانه) المؤمنين بقوله: ﴿فَإِنْ تَرْضَوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِيْنَ﴾ رضاكم عن المنافقين لا ينفعهم بسبب سخط الله عليهم وابتعادهم عن رضا الله(تعالى).. وفي هذه الآية نهي للمؤمنين من أن يرضوا عن المنافقين لعدم رضا الله(جلّ وعلا) وأنَّ رضا المؤمن من رضا الله(سبحانه)، وغضبه من غضبه، والله لا يرضى عن القوم الفاسقين، فكيف يرضى المؤمن عنهم؟..

فمن ادّعى الإيمان بالله وهو راضٍ على من غضب الله عليه، فإنّه منافق.

وفي هذه الآية دلالة على أنَّ من يطلب رضا الناس ولم يطلب رضا الله(سبحانه) فإنَّ الله يسخط الناس عليه كما جاء في الحديث عن النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال:-

﴿من التمسَ رضا الله بسخط الناس، رضيَ الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمسَ رضا الناس بسخط الله، سخطَ الله عليه وأسخط عليه الناس﴾

حيرة المنافقين وقلقهم

قال تعالى في سورة التوبة/آية/(١٢٤-١٢٥):-

﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُــوْرَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُوْلُ أَيُّكُمْ زَادَتْـهُ هَذِهِ إِيْمَـانَـاً فَـأَمَّـا الَّـذِيْنَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيْمَانَاً وَهُمْ يَسْتَبْشِـرُوْنَ وَأَمَّا الَّذِيْنَ فِي قُلُوْبِـهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسَــاً إِلَى رِجْسِــهِمْ وَمَاتُوْا وَهُمْ كَافِرُوْنَ﴾

إنَّ بعض المنافقين كانوا يستهزئون ويستخفّون بالقرآن الكريم، فيتســاءلون أيّ عجبٍ أو إعجازٍ أو تأثيرٍ في هذا القرآن؟!.. فيجعلون من أنفســهم المريضــة مقياســاً للحقِّ والصـدق، والغريب أنَّ المشـركين كانوا يعترفون بعظمة القرآن وتأثيره البالغ في النفوس، ولهذا كان يوصــي بعضــهم بعضــاً بعدم الاســتماع إليه مخافة أن يجذبهم إلى الإســلام والإيمان من حيث لا يشعرون..

قال تعالى في سورة فصلت/آية/٢٦:-

﴿قَـالَ الَّـذِيْنَ كَفَرُوْا لاَ تَسْــمَعُوْا لِهَـذَا الْقُرْآنِ وَالْغُوْا فِيْهِ لَعَلَّكُمْ تُغْلَبُوْن﴾

ولئن دلَّ هذا على شــيء فإنّما يدلّ وبكل وضــوح وجلاء على أنَّ النفاق أسوأ أثراً وأشدّ جرماً من الشرك.

بعد هذا الاســـتخفاف والاســـتهزاء من المنافقين أجاب (سـبحانه وتعالى) بقوله: (فَأَمَّـا الَّذِيْنَ آمَنُوا فَزَادَتْـهُمْ إِيْمَـانَـاً) فأمّا المؤمنون المخلصـون فزادتهم تصـديقاً وهدىً ويقيناً، لأنَّ نفوســهم نقيّة زكيّة طيبة لم تدنّســها الأرجاس ولم تتلوث بما تلوثـت بـه نفوســـهم من أقـذار، فرانَ على قلوبهم، فهم لا يفقهون.. (وَهُمْ يَسْـتَبْشِـرُوْنَ) فإنّه كلما نزلت آية أو سـورة من الذكر الحكيم يسـتبشـرون لأنّها تُبشّـرهم بالجنـة، وترشـدهم إلى ما يرضي الله وما يوضّح لهم معالم الطريق المستقيم، إلى الحياة الحرّة السعيدة، وقد تهلّلت وجوههم فرحاً ويبشّر بعضهم بعضاً.

(وَأَمَّا الَّذِيْنَ فِي قُلُوْبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسَـاً إِلَى رِجْسِـــهِمْ) أما الذين في قلوبهم مرض وشـــكّ ونفاق ورجس فيزدادون كفراً ونفاقاً ورجســاً كلما جاءت آية أو ســورة من القرآن لأنّهم يشـــكّون بها كما شـــكّوا فيما تقدمها من آيات وســور.. والمنافق يزداد مرضــاً كلما أوغلَ في الجحود والعناد للحقّ وآياتـه، وينطبق على المنـافق، الحديث الذي يُشـــبّه الحريص

على الدنيا مثل دودة القزّ، كلما ازدادت على نفسها لفّاً كان أبعد لها من الخروج من شرنقتها حتى تموت غمّاً (وَمَاتُوْا وَهُمْ كَافِرُوْنَ) أي أنَّ شكّهم وكفرهم بما أنزل الله(تبارك وتعالى) من آيات، أودى بهم إلى الهلاك وهم على كفرهم بسوء اختيارهم وذلك هو الخسران المبين.

قال تعالى في سورة التوبة/آية/١٢٦:-

﴿أَوَ لاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُوْنَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوْبُوْنَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَرُوْنَ﴾

أفلا يعلم هؤلاء المنافقون أنّهم يُفتنون ويُمتحنون في كلّ عام مرة أو مرتين بالأمراض والأوجاع وهي رائد الموت ودليله، وقيل بأنَّ المنافقين كانوا يبيتون الشرّ للنبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) ويطعنون به ويتّهموه، وكان الله(سبحانه) يُخبر نبيّه الأعظم بما يبيتون ويطعنون، والنبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) يفضحهم ويُعاتبهم، وقد تكرّرَ هذا في كلّ عام مرة أو أكثر.

وبإخبار الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) لهم بنواياهم دلالة واضحة على صدق النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وأنَّ القرآن المجيد من عند الله (ثُمَّ لاَ يَتُوْبُوْنَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَرُوْنَ) فلا

يرجعون عن كفرهم ونفاقهم، ولا يتذكرون نِعم الله(سبحانه) عليهم، وما يتذكّر إلاّ أولوا الألباب.

قال تعالى في سورة التوبة/آية/١٢٧:-

﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُوْرَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوْا صَرَفَ اللّهُ قَلُوْبَهُمْ بَأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُوْنَ﴾

إِننا حين نتلو هذه الآية نستحضر مشهد هؤلاء المنافقين، فإذا أُنزلت سورة، فإذا بعضهم ينظر إلى بعض ويغمز غمزة المريب، إذ عجزوا عن مجابهة الحقّ، ومواجهة الحجّة بالحجّة، فإنّهم يسترقون النظر ويتضاحكون ويتغامزون مُعبّرين بذلك عن رسوخ الكفر في نفوسهم وتميّزها بطابع النفاق الواضح على كل تصرفاتهم وحركاتهم، (هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ) أي إنَّ بعضهم يقول لبعض:-

هل يراكم من أحد؟.. ثم ينصرفون.. وإنّما ينصرفون مخافة أن تتسلّط عليهم أنوار السماء فتنزل آية تفضحهم وتُبدي سوآتهم، وكانوا لا يقولون ذلك بألسنتهم، ولكن بلغة

العيون يتراشـقون النظرات، فهي تعبّر عن لسـان حالهم (ثُمَّ انْصَـــرَفُوْا) أي إنّهم قـاموا بمـا قـاموا وفعلوا فعلتهم وانصرفوا إلى شأنهم وهم في غفلة من جريمتهم وكأن لم يأتوا بجرم (صَـرَفَ اللّهُ قَلُوْبَـهُمْ) قيل معنى صـرف الله قلوبهم عن رحمته وثوابه عقوبة لهم على انصـــرافهم عن الإيمان بالقرآن وعن إيمانهم بالحقّ، وقيل أنه على وجه الدعاء عليهم، أي خذلهم الله باســتحقاقهم ذلك، ومن المعلوم بأنَّ دعاء الله على عباده وعيد لهم وإخبار بإلحاق العذاب بهم.

قال تعالى في سورة العنكبوت/آية ١٠:-

﴿وَمِنَ النَّـاسِ مَنْ يَقُوْلُ آمَنَّـا بِـاللّهِ فَـإِذَا أُوذِيَ فِي اللّهِ جَعَلَ فِتْنَـةَ النَّـاسِ كَعَذَابِ اللّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لِيَقُولُنَّ إِنَّـا كُنَّـا مَعَكُمْ أَوَ لَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُوْرِ الْعَالَمِيْنَ﴾

صـــورة أخرى يرســـمها القرآن الكريم لفئة من المنافقين الذين يتلفظون بكلمة الإيمان بألسنتهم حينما يكونون في دِعة وطمـأنينـة وراحـة (فَـإِذَا أُوذِيَ فِي اللّهِ) أي تعرّض لتمحيص وبلاء وشدة في سبيل الله، وهو كشف لحسابه دون شكّ وريب (جَعَلَ فِتْنَـةَ النَّـاسِ كَعَذَابِ اللّهِ) أي أنَّ بعضـــهم إذا أُوذيَ بسبب دين الله، رجعَ عن الدين مخافة عذاب الناس

كما ينبغي للكافر أن يترك ضـــلالته مخافة عذاب الله، فيسوّي بين عذاب منقطع وبين عذاب دائم مستمر.

(وَلَئِنْ جَاءَ نَصْـرٌ مِنْ رَبِّكَ لِيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ) أي يا محمد، لئن جاء نصـــر من الله للمؤمنين ليقول المنافقون للمؤمنين إنّا كنّا معكم على عدوّكم طمعاً بالغنيمة، وأبلغ كلمة في هذا المعنى قولة ســيد الشــهداء الحســين بن عليّ(عليهما السلام):-

﴿الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معايشــهم، فإذا محصــوا بالبلاء، قلَّ الديّانون﴾

ثم كذّبهم الله(ســبحانه) بقوله (أَوَ لَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُوْرِ الْعَالَمِيْنَ).. قال تعالى في سورة العنكبوت/آية/١١:-

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللّهُ الَّـذِيْنَ آمَنُوْا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِيْنَ﴾

أقسمَ الله(تبارك وتعالى) بإنّه يعلم الذين آمنوا به على الحقيقة ظاهراً وباطناً، ويعلم المنافقين فيجازيهم حســب أعمالهم وتصرفاتهم وهذا تهديد ووعيد من الله(تعالى) للمنافقين التعساء.

حملة على المنافقين

قال تعالى في سورة المجادلة/آية/ ١٤:-

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ تَوَلَّوا قَوْمَاً غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ وَيَحْلِفُوْنَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُوْنَ﴾

الخطاب موجّه إلى الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم)

والمقصود بالذين تولّوا هم قوم من المنافقين، وأما القوم المغضوب عليهم فهم اليهود، والخطاب في كلمة (منكم) يرجع للمسلمين، والضمير في (منهم) يعود لليهود، إنّها حملة عنيفة على المنافقين الذين تولّوا قوماً غضِبَ الله عليهم، فإنَّ اللهﷻ يخاطب رسوله الكريم في هذه الآية بأن يُطلع الرسول ويكشف له عن خبيئة هؤلاء المنافقين الذين والوا اليهود وتآمروا معهم على الإسلام والمسلمين، وهم في واقعهم وحقيقتهم ليسوا من المسلمين ولا من اليهود، إنّما هم مذبذبون بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وإنّهم يحلفون متعمّدين الكذب والزور بأنّهم مسلمون وأنّهم ما طعنوا بالرسول وما بهتوا عليه وما تآمروا عليه مع

اليهود.

قال تعالى في سورة المجادلة/آية/١٥:-

﴿أَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيْدَاً إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ﴾

فالله ﷻ أعدَّ للمنافقين نار جهنم وعذاباً شديداً، عقاباً لهم على نفاقهم وأيمانهم الكاذبة وتعاملهم بالسلوكية المزدوجة مع الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بإظهار الإيمان وإخفاء الشرك والإلحاد والعداء.

قال تعالى في سورة المجادلة/آية/١٦:-

﴿اتَّخَذُوْا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوْا عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِيْنٌ﴾

لما ذكرَ الله ﷻ المنافقين بأنّهم تولّوا قوماً من اليهود الذين غضب الله عليهم، وذكر ما أعدَّ لهم من العذاب والعقاب، وذكر أنّهم يحلفون على الكذب مع علْمهم بأنّهم كاذبون، بعد كل هذا يقول (سبحانه وتعالى) بأنَّ المنافقين يحاولون التستّر على دسائسهم ومؤامراتهم وفِتنِهم بالأيمان الكاذبة المزيّفة، يريدون أن يتّقوا بهذه الأيمان الكاذبة

المسلمين، ويخدعون من يطلب الهداية وقصد السبيل فيصـــدّونه عن غايته وبغيته، ولكن الله(جلّ وعلا) لا تخفى عليه الضـــمائر ولا تحتجب عنه الســـرائر، يعلم بواطن الأمور وما تخفي الصـدور، فهتكَ في الدنيا سـترهم، وأعدَّ لهم في الآخرة عذاباً شديداً.. قال تعالى في سورة المجادلة/آية/١٧:-

﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئَاً أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَ﴾

فالأموال إضافة إلى الأولاد والعشيرة عزّ وحصن يتصور الإنسان أنّه يتحصّن بهما من عاديات الزمن وطوارق المحن، فالأموال التي سعى المنافقون في جمعها والأولاد الذين خلّفوا، كل ذلك لا ينفعهم من الله شـــيئاً، فلا يســـتطيعون بهما وإن اجتمعا دفع عقاب أو ردّ عذاب وهم أصـــحاب النار هم فيها خالدون.

قال تعالى في سورة المجادلة/آية/١٨:-

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيْعَـاً فَيَحْلِفُوْنَ لَـهُ كَمَـا يَحْلِفُوْنَ لَكُمْ وَيَحْسَـبُوْنَ أَنَّـهُمْ عَلَى شَـيءٍ أَلاَ إِنَّـهُمْ هُمُ الْكَاذِبُوْنَ﴾

فإنَّ للعباد في يوم القيامة مواقف لا موقف واحد، يؤذن لهم بالكلام في بعضـــها دون بعض، فإذا ما أذن الله(جلّ وعلا) للمنـافقين والمجرمين بـالكلام حلفوا لـه كذبـاً وزوراً، وهم إنّمـا يتصـــورون أنَّ أيمـانهم هذه تـدفع عنهم العقـاب والعـذاب، ولكن.. كيف ذلك واللهﷻ مُطلّع وعارف بســرائرهم وضــمائرهم وما أخفت صدورهم، ويعلم أنّهم لكاذبون.

الخداع عند المنافقين

قال تعالى في سورة الحشر/آية/١١:-

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ نَافَقُوْا يَقُوْلُوْنَ لِإِخْوَانِهِمْ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلاَ نُطِيْعُ فِيْكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوْتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللّهُ يَشْهَدُ أَنَّهُمْ لَكَاذِبُوْنَ﴾

الخطاب موجّه إلى الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) والمراد بأهل الكتاب في هذه الآية الكريمة يهود بني النضير، وهم إخوة المنافقين في الكفر وبغض الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، وتشير هذه الآية إلى خداع المنافقين ودجلهم، فإنَّ النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) حين أعلنَ الحرب على يهود بني النضير، قال لهم المنافقون وكان على رأس المنافقين وزعمائهم عبدالله بن أُبي، قالوا لـ(بني النضير): قاتلوا محمداً واصمدوا له ونحن معكم عليه، فإنّه إن قاتلكم قاتلناه، وإن أبعدكم عن المدينة نزحنا معكم عنها ولا نصغي لقول محمد وأصحابه، ثم كذبهم اللهﷻ بقوله (وَاللّهُ يَشْهَدُ أَنَّهُمْ لَكَاذِبُوْنَ) في أقوالهم ومواعيدهم وفيما يدعونه من الخروج

والدفاع عنهم.. قال تعالى في سورة الحشر/آية/١٢:-

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوْا لاَ يَخْرُجُوْنَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوْتِلُوْا لاَ يَنْصُرُونَهُمْ وَإِنْ نَصَرُوْهُمْ لَيُولُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنْصَرُوْنَ﴾

أخبرَ اللهﷻ في هذه الآية أنَّ المنافقين سيخلفون بني النضير ما وعدوهم من النصر والخروج معهم، فلو أخرجَ المسلمون بني النضير لا يخرج المنافقون معهم، ولئن قتل المسلمون بني النضير لا يخرج المنافقون لنصرتهم، ولئن نصروهم ليولّنّ الأدبار، هذا هو شأن المنافق وطبيعته، فإنّه يخالف لسانه قلبه، وقلبه فعله، وعلانيته سرّه، ثم لا ينصرون ولا ينفعهم مكرهم ونفاقهم.. قال تعالى في سورة الحشر/آية/١٣:-

﴿لأَنْتُمْ أشَدُّ رَهْبَةً فِيْ صُدُوْرِهِمْ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُوْنَ﴾

الخطاب موجّه إلى المؤمنين، فإنَّ اللهﷻ يقول لهم: أيّها المؤمنون، أنتم أشدّ رهبة وخوفاً في صدور وقلوب هؤلاء المنافقين من الله، وأنَّ خوفهم منكم اشدّ وأكبر من

خوفهم من الله(سبحانه) ذلك لأنّهم يشاهدونكم ويعرفونكم ولا يعرفون اللهﷻ، وأنّهم يخافون المؤمنين لأنّهم يتوقعون عاجل الشرّ في الدنيا، ولا يتوقعون آجل العذاب في الآخرة، وذلك مدعاة إلى نصركم لأنّهم يعينونكم على أنفسهم في قتالكم لهم، وأنّهم قوم لا يفقهون ولا يعقلون.

قال تعالى في سورة الحشر/آية/(١٦-١٧):-

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ أكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِيْنَ فَكَانَ عَاقِبَتِهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنَ فِيْهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِيْنَ﴾

قال المنافقون ليهود بني النضير: قاتلوا محمداً ونحن ننصركم وإن أجلاكم فنحن معكم، ولكن لما نزل البلاء والغضب على بني النضير، اختفى المنافقون في بيوتهم وما ظهرَ لهم عين ولا أثر، فقد ضرب الله(سبحانه) لليهود والمنافقين مثلاً، فقال: (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ) أي مَثَل المنافقين في غرورهم لبني النضير وخذلانهم إيّاهم كمثل الشيطان، فإنّه (سبحانه) شبّه هذه الحالة من الخذلان والتغرير من

المنافقين ليهود بني النضير بحال الشيطان مع الإنسان، فإنَّ الشيطان يُغري الإنسان بالفساد والضلال، فإذا وقعَ في شراكه، تركَهُ للعذاب والهلاك، وتبرّأ منه ومن عمله وتظاهرَ بالخوف من الله (فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ) يعني عاقبة الفريقين الداعي والمدعو، وهما الشيطان والذين استجابوا له فاتّبعوا غوايته من المنافقين واليهود، أنّهما مُعذّبان في نار جهنم وساءت مصيراً.

واقـع المنـافقيـن

قال تعالى في سورة الأحزاب/آية/١٢:-

﴿وَإِذْ يَقُوْلُ الْمُنَـافِقُوْنَ وَالَّـذِيْنَ فِي قُلُوْبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنا اللهُ وَرَسُوْلُهُ إِلاَّ غُرُوْرَاً﴾

إنّه لا تظهر حقيقة الإنسان وكوامن نفسه وواقع دخيلته إلاّ عند الشـــدائد والامتحان بالمخاوف والاختبار بالمكاره، وكانت واقعة الخندق امتحاناً قاسياً للمؤمن وللمنافق على حدٍّ سواء..

لكن المؤمن الصـــحيح يزداد إيماناً ويقوى ثباتاً عند الشـــدائد والابتلاء، ولكن المنافق الذي أخفى الكفر وأظهر الإيمان تتجلّى حقيقته وواقع كفره وتتكشّـــف خبيئته عند تعرّضه لأبسط شدة وأقل ابتلاء.

وقد وجدَ هؤلاء المنافقون في الشـــدة المخوفة فرصـــة للتوهين والتخذيل وبثِّ الشـــكّ والريبة بالله ﷻ والتنديد بما وعدَ الله(جلّ وعلا) ورســـوله.. (وَالَّـذِيْنَ فِي قُلُوْبِهِمْ مَرَضٌ) وهم أصحاب الإيمان الضعيف الذين صدّقوا المنافقين دون روية وتفكير، وأولئك من المنافقين والذين في قلوبهم مرض (مَا

وَعَدَنا اللّهُ وَرَسُوْلُهُ إِلاَّ غُرُوْرَاً) إنّه في الواقع، لا يؤمن مثل هذا الصـــنف ممن يحمل بين جنبيه قلباً بواراً من الإيمان الصـــــحيح، وإلاّ كيف يمكن أن يفوه بمثل هذا الكفر والتجرؤ على الله وعلى شخصية الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم).. إنّهم إنّما قالوا هذا ليُشكّكوا البسطاء والأغبياء ضعاف العقول والإيمان.

قال تعالى في سورة الأحزاب/آية/١٣:-

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرَبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوْا وَيَسْـــتَأْذِنُ فَرِيْقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُوْلُوْنَ إِنَّ بُيُوْتَنَا عُوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعُوْرَةٍ إِنْ يُرِيْدُوْنَ إِلاَّ فِرَارَاً﴾

لما باشـــرَ النبيّ(صـــلى الله عليه وآله وســـلم) والصـــحابة بحفر الخندق، قال جماعة من المنافقين: ما فائدة الخندق؟.. إنّه لا يغني عن الحرب شيئاً..

قالوا هذا قبل قدوم الأحزاب، ولمّا جاءت، قالوا للمقاتلين: لا طاقة لكم بهذا الجيش الكبير.. ولا نجاة منه إلاّ بالفرار والاستسلام والهزيمة (وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيْقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُوْلُوْنَ إِنَّ بُيُوْتَنَا عُوْرَةٌ) فقد كان بعض المنافقين وقيل أنّهم

بنو الحارثة وبنو سلمة، يخلقون الأعذار للتهرب من عسكر رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ومن المشاركة في القتال ونصرة المؤمنين، ويقولون له: إنَّ بيوتنا مكشوفة للصوص، معرّضة للسرّاق وهي خالية من الرجال، فأذَنْ لنا بحمايتها، ولكن الله ﷻ كذّبهم وكشف عن حقيقتهم ونفاقهم بقوله (وَمَا هِيَ بِعُوْرَةٍ إِنْ يُرِيْدُوْنَ إِلاَّ فِرَاراً) من الجهاد والقتال ونصرة الحقّ والمؤمنين.

نعم.. هذا واقع المنافقين والذين في قلوبهم مرض، وهذه صورتهم، صورة الفزع والبلبلة والمراوغة، تعبّر عن وهن العزيمة وضعف العقيدة وحقارة النفس ومرض القلب.

المنافقون ونقض العهد

قال تعالى في سورة الأحزاب/آية/١٤:-

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لأَتَوهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيْرَاً﴾

الضمير في كلمة (عليهم) يعود إلى المنافقين، وضمير أقطارها: أي أقطار المدينة ونواحيها، والمقصود من الفتنة هنا: الارتداد عن الدين.

والمستفاد من هذا النص القرآني الشريف، بأنّه لو دخلت جيوش الكفر والشرك المدينة وأحاطت بأقطارها من كل جانب (ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ) أي قال المشركون للمنافقين ولمرضى القلوب من ضعاف الإيمان: ارتدّوا عن دينكم وهو الإسلام وأعلنوا الكفر والشرك.. لاستجاب المنافقون على الفور من غير تردد، أو ترددوا قليلاً ثم استسلموا.

ومن الواضح أنَّ المؤمن الحقّ لا يرتدّ عن عقيدته، والمؤمن الواقعي لا يتزلزل عن مبدأه ودينه، ويعلم بأنَّ السعيد من سلم له دينه بأيّ صورة كانت.

قال تعالى في سورة الأحزاب/آية/١٥:-

﴿وَلَقَدْ كَانُوْا عَاهَدُوْا اللهَ مِنْ قَبْلُ لاَ يُوَلُّوْنَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْؤولاً﴾

أي أنَّ المنافقين بايعوا النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وحلفوا له، أنّهم ينصرونه ويجاهدون في سبيله ويدفعون عنه كما يدفعون عن أنفسهم ولا يرجعون عن مقاتلة العدوّ ولا ينهزمون عند مواجهة الأعداء.. ولكنهم أخذوا بعد ذلك يتذرعون بالأكاذيب الباطلة وذلك للفرار من جيش رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن أعطوا العهود والمواثيق على الثبات في الجهاد بين يدي الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) حتى الموت.

هذا هو شأن المنافقين، عقيدة واهنة لا تثبت ولا تستقر، لا تلبث أن تستجيب لداعي النفاق فتستسلم مرتدّة للكفر والضلال.

هكذا يكشفهم القرآن الكريم، يرفع عنهم الحجاب ويُجردهم عن كلّ ساتر، فتتجلى نفوسهم وما تنطوي عليه عارية واضحة، يكشف عن سرائرهم نقض العهد إن عاهدوا، وخُلْف الوعد إن وعدوا، ولبئس ما صنعوا، فقد

فاتَهم أنّهم إنّما يعاهدون الله ورسـوله، والله من ورائهم محيط، يعلم باطنهم وظاهرهم، فهو (جلّ وعلا) جبار السماوات والأرض الواحد الأحد عالم الغيب والشـــهادة القدير المتعال (وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْؤولاً) أي أنَّ المنافقين يُسألون عنه يوم القيامة وعن الوفاء به..

قال تعالى في سورة الأحزاب/آية/١٦:-

﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَنْ لاَ تُمَتَّعُوْنَ إِلاَّ قَلِيْلاً﴾

الخطاب موجّه إلى الرسـول الأعظم(صـلوات الله وسـلامه عليه وعلى آله الطاهرين).. قل يا محمد للمنافقين الذين اسـتأذنوك في الرجوع عن الجهاد بأعذارهم الواهية، إنّه لن ينفعكم ولا يفيدكم الفرار من الموت والقتل إن فررتم، فلا ينجو من الموت من خافه، ولا يُعطى البقاء من أحبّه، فإذا حضـرت آجالكم، فإنّه لابد من أحدهما، أما موت على الفراش وأما قتل بالسـيف، وإن هربتم، فالهرب لا يزيد في آجالكم ولا يؤخركم (وَإِذَنْ لاَ تُمَتَّعُوْنَ إِلاَّ قَلِيْلاً) في الحياة الدنيا.

قال تعالى في سورة الأحزاب/آية/١٧:-

﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُــوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلاَ يَجِدُوْنَ لَهُمْ مِنْ دُوْنِ اللهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيْرَاً﴾

الخطاب موجّه إلى النبيّ الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم)، أن قُل يا محمد للمنافقين: من الذي يدفع عنكم قضاء اللهﷻ ويعصمكم ويمنعكم من الله(تعالى) إن أراد بكم السوء والعقاب والعذاب، أو أراد بكم رحمة ونصراً، لأنَّ اللهﷻ هو المسيطر الوحيد على الأحداث والمصائر يوجّهها حيث يشاء في قرار محتوم، فهو ربّ السماوات والأرض يُسيّرها كيف يشاء وبما يشاء، لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون.

قال تعالى في سورة الأحزاب/آية/١٨:-

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوّقِيْنَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِيْنَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُوْنَ الْبَأسَ إِلاَّ قَلِيْلاً﴾

قد يعلم الله المعوّقين منكم، فإنَّ اللهﷻ يعلم أمر المنافقين الذين يعوقون غيرهم عن الجهاد مع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ويثبطون عزائم الناس ويشغلونهم لينصرفوا معرضين عن الجهاد والقتال في سبيل الله (وَالْقَائِلِيْنَ

لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا) يعني اليهود قالوا لإخوانهم المنافقين أو المنافقين قالوا لإخوانهم ومن شاكلَهم وعلى كل حال فهم سواء: قالوا لنضائرهم ضعاف الإيمان وهزيلي العقيدة والثبات من المسلمين، تعالوا إلى الراحة والدعة، مالنا ومحمد وما جاء به، وما شأننا والقتال، دعوا محمداً ولا تحاربوا، فإنّا نخاف عليكم الهلاك (وَلاَ يَأْتُوْنَ الْبَأسَ إِلاَّ قَلِيْلاً) فإنَّ المنافقين لا يشهدون الجهاد في سبيل الله ولا يحضرون القتال إلاّ قليلاً منهم يخرجون رياءاً ويمشون إلى القتال كالذي يساق إلى الموت ويقاتلون لماماً وهم مضطرون متثاقلون.

جبن المنافقين

قال تعالى في سورة الأحزاب/آية/١٩:-

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُوْنَ إِلَيْكَ تَدُوْرُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوْا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيْرَاً﴾

إنّهم المنافقون.. يا لها من نفوس!.. ما أشحّها وأجبنها وأبخلها على المسلمين، شحيحة بالجهد والقتال شحيحة بالمال والبذل، شحيحة بالعواطف والمشاعر، فما أقبحها من صورة، وما أبشعها من نفسية جرداء مزرية.

فالآية الكريمة تعكس جبن المنافقين وخورهم عند القتال، وجرأتهم على الذنوب والآثام، ترتعش قلوبهم وتدور أعينهم في رؤوسهم فزعاً وخوفاً وهلعاً في ساحة الحرب والوغى، فإذا ذهب الخوف، تنتفخ أوداجهم والعظمة تملأ نفوسهم، فتسيل البذاءة على ألسنتهم السليطة ينهشون ويأفكون، ويتّهمون المؤمنين المجاهدين، ويدّعون من غير

حياء ما يحلو لهم الإدّعاء من البلاء في الجهاد وبسالة مقارعة الأبطال والفضل في الأعمال، ويصف لنا أمير المؤمنين(صلوات الله وسلامه عليه) حال المنافقين، فيقول:-

﴿إنَّ المنافق يتكلم بما أتى على لسانه، لا يدري ماذا له وماذا عليه﴾

(أَشِحَةً عَلَى الْخَيْرِ) فلا يبذلون للخير شيئاً من جهدهم وطاقتهم ولا من أموالهم وأنفسهم، مع كل ذلك الإدّعاء العريض والتبجّح الطويل (أُولَئِكَ لَمْ يُؤمِنُوْا) بل أظهروا الإيمان وأضمروا الكفر، وقاتلوا معكم لغير سبيل الله ولا يقصدون وجهه، بل نفاقاً ورياءاً (فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ) لسوء قصد أعمالهم وفساد رأيهم، وفي الحديث الشريف:-

﴿من كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجرَ إليه﴾

(وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيْرَاً) ذلك إشارة إلى إحباط أعمالهم وقتالهم وهو بسيط يسير على الله(جلّ وعلا) لأنّه لا ظلم فيه ولا جور، ما داموا منافقين مرائين.. قال تعالى في

سورة الأحزاب/آية/ ٢٠:-

﴿يَحْسَبُوْنَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوْا وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ يُودُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوْنَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُوْنَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوْا فِيْكُمْ مَا قَاتَلُوْا إِلاَّ قَلِيْلاً﴾

(يَحْسَبُوْنَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوْا) فهم ما يزالون يرتعشون ويخافون ويتخاذلون ويخذلون، ويأبون أن يصدقوا أنَّ الأحزاب قد ذهبت وأنّه قد ذهبَ الخوف والاضطراب وحلَّ الأمان، إنّهم لا يصدقون لا لشيء إلاّ لغرض كبير في أنفسهم هو أن يقضي الشرك على الإيمان وتسحق فلول الأحزاب هذا الدين الجديد والنبيّ العظيم(صلى الله عليه وآله وسلم) وصحبه الكرام.

ولقد صوّرت لهم أمانيهم هذه، أنَّ الأحزاب ما زالت تحاصر المدينة، وأنّها ستحقق آمالهم عن قريب.

(وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ يُودُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوْنَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُوْنَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوْا فِيْكُمْ مَا قَاتَلُوْا إِلاَّ قَلِيْلاً) أي لو يرجعَ الأحزاب ثانية للقتال، يودّ هؤلاء المنافقون أن يكونوا في البادية مع الأعراب يسألون كل قادم عمّا جرى للمسلمين مع جيوش الظلم والضلال.

سورة المنافقين

قال تعالى في سورة المنافقون/آية/١:-

﴿إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُوْنَ قَالُوْا نَشْهَدُ أَنَّكَ لَرَسُولُ اللّهِ وَاللّهُ يَعْلَمُ أَنَّكَ لَرَسُــوْلُهُ وَاللّهُ يَشْــهَدُ أَنَّ الْمُنَافِقِيْنَ لَكَاذِبُوْنَ﴾

هذه السورة المباركة تتضمن حملة توبيخية عنيفة على أخلاق المنافقين ودسائسهم وأكاذيبهم، وتظهر بكل وضوح ما يحملون من كيد وبغض في نفوسهم للمسلمين، فإنّهم كانوا يأتون على الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) فيشهدون بين يديه برسالته وأنّه لرسول الله، فخاطبه الله(تعالى) (إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُوْنَ) الذين أضمروا الكفر بالله والعداء لنبيّه، وأظهروا الحبّ والإيمان به وبرسالته (وَاللّهُ يَشْــهَدُ أَنَّ الْمُنَافِقِيْنَ لَكَاذِبُوْنَ) فإنَّ الله(سبحانه) يعلم أنَّ المنافقين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وهو يعلم ما يسرون وما يعلنون.. قال تعالى في سورة المنافقون/آية/٢:-

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوْا عَنْ سَبِيْلِ اللّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ﴾

كانوا يتســـترون بأيمانهم عن الكفر وعن كل ما كان ينكشف من نواياهم ودسائسهم ضد الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين.

قال تعالى في سورة المنافقون/آية/٣:-

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوْا ثُمَّ كَفَرُوْا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوْبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُوْنَ﴾

والمقصـــود من (آمَنُوْا) أي أنّهم عُرفوا بين النــاس بالإيمان، وإلاّ فإنَّ المنافقين لم يؤمنوا بالله طرفة عين (ثُمَّ كَفَرُوْا) أي ثم عرفهم الناس بأنّهم كانوا يُظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، وقولـه تعالى (فَطُبِعَ عَلَى قُلُوْبِهِمْ) أي أنَّ قلوبهم لا تهتدي إلى الخير والرشـــد بعد أن أعماها الضـــلال والهوى.

قال تعالى في سورة المنافقون/آية/٤:-

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبْكَ أَجْسَـــامَهُمْ وَأَنْ يَقُوْلُوْا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾

فإنّهم بأحسن صورة وأجمل منظر ولكنهم بأقبح نفسية وأحقر دخيلة وإن تكلّموا فإنّهم يتحدثون بكلام المخلصـــين

الزاهدين في الدنيا وما فيها، وهم كالأخشاب المُسنّدة.

قال تعالى في سورة المنافقون/آية/٤:-

﴿يَحْسَبُوْنَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْوهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤفَكُوْنَ﴾

يصف الله(تعالى) المنافقين بالخور والهلع والجبن والخوف من كشف الأسرار وهتك الأستار، فلا يسمعون صوتاً إلاّ ويظنونه صيحة العذاب تأخذهم من حيث لا يشعرون (قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤفَكُوْنَ) هذا ذمّ بصيغة الدعاء والتعجب، والمعنى هم ملعونون لأنّهم انصرفوا عن الحقّ وأعرضوا عنه عناداً وتمرداً.

قال تعالى في سورة المنافقون/آية/٥:-

﴿وَإِذَا قِيْلَ لَهُمْ تَعَالَوا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُوْلُ اللهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّوْنَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُوْنَ﴾

فإنَّ المنافقين إذا قال لهم قائل أو نصحَهم ناصح بأن توجّهوا إلى الله(سبحانه) وتوبوا مما أنتم فيه، يغفر الله لكم ورسوله، أصرّوا على الباطل وأعرضوا عن الحقّ، وهزّوا رؤوسهم متكبّرين ساخرين، لأنّهم أكبر وأعظم من أن

يحتاجوا إلى الرسول ورضوانه كما يقولون.

قال تعالى في سورة المنافقون/آية/٦:-

﴿سَـوَاءٌ عَلَيْـهِمْ أَسْـتَغْفَرْتَ لَـهُمْ أَمْ لَمْ تَسْـتَغْفِرْ لَـهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَـهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْـدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِيْنَ﴾

أي يتساوى الاستغفار لهم وعدم الاستغفار لأنّه لا جدوى من استصلاحهم، فلا جدوى إذن من طلب المغفرة لهم من الله(تعالى)، وأنَّ الله(سبحانه) لا يغفر لهم لأنّهم غير مؤمنين واقعاً وإن أظهروا الإيمان بألسنتهم ولأجل تكبّرهم وشعورهم بعدم الاحتياج إلى رحمة الله(تعالى) ومغفرته.

قال تعالى في سورة المنافقون/آية/٧:-

﴿هُمُ الَّـذِيْنَ يَقُولُوْنَ لاَ تُنْفِقُوْا عَلَى مَنْ عِنْـدَ رَسُوْلِ اللّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَللّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ لاَ يَفْقَهُوْنَ﴾

الضمير في (هم) يعود على المنافقين، ومعنى الآية الكريمة: أنّه كان أغنياء الأنصار يعينون فقراء المهاجرين الذين كانوا مع النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) ويُنفقون عليهم، فقال المنافقون للأغنياء: لا تنفقوا أموالكم على أحد من

المهاجرين، لعلهم يستيئسون من النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) فيتفرّقوا عنه ويتركوه، فردَّ عليهم (سبحانه وتعالى) (وَللهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ لاَ يَفْقَهُوْنَ) أ تأمرون الناس بالبخل والإقتار وعدم الإنفاق على من آمنَ بالله وجاهدَ في سبيله والله ﷻ خالق الخلْق ومالكه ورازقه ووارثه، وهو القادر على أن يُغني المؤمنين من فضله، ولكنكم لا تعقلون هذه الحقيقة، أيّها المنافقون.

بعض
علامات المنافقين

أولاً: التربّص بالمؤمنين

قال تعالى في سورة النساء/آية/١٤١:-

﴿الَّذِيْنَ يَتَرَبَّصُــوْنَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَـالُوْا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَـانَ لِلكَـافِرِيْنَ نَصِـيْبٌ قَالُوْا أَلَمْ نَسْـتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤمِنِيْنَ فَـاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَـامَـةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلكَافِرِيْنَ عَلَى الْمُؤمِنِيْنَ سَبِيْلاً﴾

إنّــه التملّق والزلفى للمســـلمين من جهــة، ولأعـداء المســلمين من جهة أخرى حسـب مقتضـيات الحال والظروف وحسـب ما تُمليه عليهم مصـالحهم الخاصـة، وإيهام الطرفين، المســـلمين وأعدائهم، أنَّ لهم -(أي للمنافقين)- دوراً إيجابياً لمصــلحتهم، فإنَّ المنافقين كانوا يخرجون مع المســلمين في حروبهم للـدسّ والوقيعـة، والتثبيط وتفتيـت الصـــفوف، وهم يتظاهرون بأنّهم إنّما خرجوا لنصــرة المســلمين، وينتظرون.. فإن كان الظفر والغلبة والفتح للمسلمين قالوا لهم: نحن كنا

معكم فأنتم ونحن شركاء في الغنائم، وإن كان للمشركين قالوا لهم: نحن نصرناكم وحمينا ظهوركم وساعدناكم وأحطناكم بعوننا، وهكذا يأكلون على السماطين.

ثانياً: خداع الله ورئاء الناس

قال تعالى في سورة النساء/آية/١٤٢:-

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ يُخَادِعُوْنَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوْا إِلَى الصَّلاَةِ قَامُوْا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيْلاً﴾

إنّه الخداع والدجل فإنّهم يتظاهرون بالإيمان للرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) مع إضمارهم الكفر، والمراد بخداع الله(تعالى) لهم أنّه (سبحانه) يعاقبهم على خداعهم ونفاقهم، من باب إطلاق السبب وإرادة المسبب.

وبعد هذا فهم لا يؤدون العبادات بحرارة وإيمان (وَإِذَا قَامُوْا إِلَى الصَّلاَةِ قَامُوْا كُسَالَى) فليس في عبادتهم إنبعاث ذاتي وحافز عقائدي، إذ لا شوق لهم إلى الله(تعالى) فكيف

ينشطون لها وهم بها كافرون.

إنّهم بطبيعة واقعهم الذاتي لا يرجون ثواباً على فعلها، ولا يخافون عقاباً على تركها، وإنّما أتوا بها رياءاً (يُرَاؤُونَ النَّاسَ) فهي ليست لله(جلّ وعلا)، إنّما هي للناس ومنافع الدنيا (وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيْلاً) أي إلاّ حين يراهم الناس، أما إذا خلوا إلى أنفسهم فلا يذكرونه مطلقاً، قال الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليهما السلام):-

﴿للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان الناس عنده، ويحبّ أن يحمد بما لم يفعل﴾

ثالثاً: التذبذب

قال تعالى في سورة النساء/آية/١٤٣:-

﴿مُذَبْذَبِيْنَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤلاَءِ وَلاَ إِلَى هَؤلاَءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيْلاً﴾

إنّها الذبذبة والتأرجح وعدم الوضوح والاستقامة، هم

يتظاهرون تارة مع المسلمين وتارة مع الكافرين.

إنّهم في الحقيقــة والواقع (لاَ إِلَى هَؤلاَءِ وَلاَ إِلَى هَؤلاَءِ) بل هم عبيد منافع وطلاب مصـــالح، هذا ديدنهم لا يستقرون على حال.

وبـذلـك النفـاق وهـذا اللون من الريـاء والطلاء تراهم يتعاملون مع الله(سبحانه) عبثاً لأنّهم يخادعون أنفسـهم والله بهم عليم.. لقد اختاروا طريق الضلال، ولبئس ما اختاروا.

فلقد حقّت عليهم كلمة الله(تعالى)، إنّهم يضلّون متى سلكوا طريق الضلال (وَمَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيْلاً).

فمن الواضح أنَّ الله ﷻ لا يضل أحداً ولا يتخلى عن عبده إلاّ إذا كان العبد نفســه هو السـبب الموجب لتخلّي الله ﷻ عنه لطغيانه وتمرده وعصيانه (نَسُوْا اللّهَ فَنَسِيَهُم).

رابعاً: التحاكم إلى الطاغوت

قال تعالى في سورة النساء/آية/٦٠:-

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّـذِيْنَ يَزْعُمُوْنَ أَنَّـهُمْ آمَنُوْا بِمَـا أُنْزِلَ

إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيْدُوْنَ أَنْ يَتَحَاكَمُوْا إِلَى الطَّاغُوْتِ وَقَدْ أُمِرُوْا أَنْ يَكْفُرُوْا بِهِ وَيُرِيْدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيْداً﴾

فمن علاماتهم: التحاكم إلى الطاغوت -(وهو الشيطان (عليه لعائن الله))- هي أوضح سمات المنافقين.

فالآية المباركة تظهر بتعجّب حال المنافقين الذين كفروا ويظهرون الإيمان، ومحل التعجب أنّهم كذبوا أنفسهم بأنفسهم حين رفضوا التحاكم لدى أهل الحقّ والإيمان وانصرفوا عنهم إلى ذوي الباطل والكفران، مع أنَّ الإسلام يأمرهم بالابتعاد عن الضلالة والضالّين والمبطلين، ولكن الواقع طغى على التمويه وأبطلَ ما كانوا يدّعون.

وجاء في سبب نزول هذه الآية، أنّه كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة، فقال اليهودي: أُحاكمك إلى محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، لأنّه علِمَ أنَّ محمداً(صلى الله عليه وآله وسلم) لا يقبل الرشوة ولا يجور في الحكم، فقال المنافق: لا.. بل بيني وبينك كعب بن الأشرف -(وهو يهودي)- لأنّه علِمَ أنَّ كعباً يأخذ الرشوة ويجور في الحكم.

خامساً: تــرك الجهــاد

قال تعالى في سورة التوبة/آية/٣٨:-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا مَالَكُمْ إِذَا قِيْلَ لَكُمْ انْفِرُوْا فِيْ سَـــبِيْلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِـــيْتُمْ بِـالْحَيَـاةِ الـدُّنْيَـا مِنَ الآخِرَةِ فَمَـا مَتَـاعُ الْحَيَـاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيْلٍ﴾

إِنّــه التقـاعس عن الجهـاد وعـدم الخروج إلى الحرب، والخطاب موجّه في هذه الآية المباركة إلى الذين ادّعوا الإيمان بألسنتهم..

لمـاذا هـذا التثـاقـل والتـأخر عن النفور في ســـبيـل الله(تعالى)؟.. أخوفاً على الحياة الدنيا، وخوفاً على المال؟.. أم خوفاً على المصـــالح والمُتع والملذات؟.. (أَرَضِـــيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيْلٍ) تقريع في غايـة الروعـة وكشـــف دقيق لواقع هؤلاء الصـــعاليك؟.. هل يليق بإيمانكم كما تدّعون أنّكم مؤمنون،

وهلاّ فيكم مســـكة من عقل أنّكم تؤثرون نعيم الدنيا الحقير الزائل على نعيم الآخرة العظيم الدائم؟..

سادساً: الحقد على المؤمنين

قال تعالى في سورة التوبة/آية/ ٥٠:-

﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيْبَةٌ يَقُوْلُوْا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَهُمْ فَرِحُوْنَ﴾

هي فرحهم -(أي المنافقين)- بما يصيب المسلمين من مشقة أو مصيبة أو أي سوء، وحزنهم بما يصيب المسلمين من خير، كما هو شـــأن الخبيث اللئيم يموت غيظاً ويمتلئ حقداً وناراً إن أصـــاب الأبرار الطيّبون ما يحبّون، ويطير فرحاً إذا نالهم ما يكرهون.

عذاب المنافقين

قال تعالى في سورة النساء/آية/١٤٥:-

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيْرَاً﴾

الجزاء والعقاب لابد أن يكونا على قدر الجريمة والمعصية، ولا جريمة أعظم من النفاق الذي جمعَ كل ألوان المساوئ والرذائل، فهو جامع بين الكفر والكذب، وكلاهما من أبشع الموبقات وأرذلها، فجزاء المنافق بطبيعة الحال، أن يكون في الطبق الأسفل من النار، إذ أنَّ للنار طبقات كما أنَّ للجنة درجات، فيكون هذا التعيس المنافق في أسفل طبقة منها.

روى عبدالله بن مسعود وابن عباس في تفسير هذه الآية الكريمة أنَّ للمنافقين، توابيت من حديد مغلقة عليهم في النار (وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيْرَاً) ولا تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصراً ينصرهم فينقذهم من عذاب الله، إذ جعلهم في أسفل طبقة من النار.

قال تعالى في سورة النساء/آية/١٣٨:-

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِيْنَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيْماً﴾

وهكذا يكون المنافقون في الدرك الأسفل من النار ويكون لهم عذاب أليم وخزي شـــديد، عقاباً لهم على ما اقترفوه في دنياهم من الكذب والدجل والافتراء والنفاق، وقال بعض المفسرين:-

استعمل (سبحانه) البشارة بالعذاب للتهكّم والاستهزاء، تماماً كما تقول العرب: تحيتك الضرب، وعتابك السيف.

قال تعالى في سورة محمد/آية/(٢٧-٢٨):-

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ يَضْـــرِبُوْنَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوْا مَا أَسْخَطَ اللّهُ وَكَرِهُوْا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾

هذا حال المنافقين إذا قبضـــت الملائكة أرواحهم، فإنّهم يضـــربون على وجوههم وظهورهم، فلئن تمكّنوا بخداعهم أن يفلتوا من مقارعة الأبطال ومصـــارعتهم في ســـوح الجهاد في ســـبيل الله والنجاة برقابهم من الهلاك والموت فهل من منجى أو مهرب من الموت إن نزلَ بســـاحتهم أو حلَّ بهم العذاب،

حين تزهق أرواحهم بـأيـدي ملائكـة غلاظ ومن ورائهم برزخ طويل، وبعث رهيب.. ذلك العذاب الصارم الذي يُعذّب به اللهﷻ عنـد الموت وبعـد الموت نتيجـة حتميـة لأولئـك الـذين آثروا سخطه في الدنيا على رضوانه (تعالى) ولبئس المصير.

قال تعالى في سورة الفتح/آية/٦:-

﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِيْنَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْمُشْـــرِكِيْنَ وَالْمُشْـرِكَاتُ الظَّانِّيْنَ بِاللهِ ظَنَّ السَّـوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيْرَاً﴾

ظنّ الســـوء باللهﷻ، صـــفة مشـــتركة بين المنافقين والمنافقات والمشـــركين والمشـــركات، وهي الصـــفة التي تُميّز العبد المؤمن عن غيره، والصـــفة الفاصـــلة بين المســـلم والمنافق، وظنّ الســـوء وســـوء الظنّ بمعنى واحد، والمراد هنا بظنّ الســـوء باللهتعالى أنّه جلّت حكمته وعظمته، لن يبعث من في القبور إذ لا نشـور ولا حسـاب، ولن ينصـر الإسـلام ونبيّ الإسلام وما إلى ذلك من ظنون، فلقد أعدَّ اللهﷻ

للمنافقين والمشركين نتيجة لفساد رأيهم وسوء ظنّهم هذا، الشرّ يحيط بهم من كل جانب ومكان والغضب واللعنة وسوء المصير، مخلّدين في نار لها دويٌّ يأخذ بالقلوب، لا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يُخفّف عنهم العذاب..

وأما تقديم المنافقين والمنافقات على المشركين والمشركات في الآية الكريمة المباركة، ذلك لأنّهم أشد، فهم في الدرك الأسفل من النار.

تمَّ بعونه تعالى
والحمد لله ربِّ العالمين

الفهرس

الموضوع	الصفحة
طبيعة المنافقين	٣
بعض صفات المنافقين	١٧
أعذار المنافقين	٢٩
حيرة المنافقين وقلقهم	٣٧
حملة على المنافقين	٤٥
الخداع عند المنافقين	٥١
واقع المنافقين	٥٧
المنافقون ونقض العهد	٦٣
جبن المنافقون	٧١
سورة المنافقين	٧٧
بعض علامات المنافقين	٨٥
عذاب المنافقين	٩٥
فهرس	١٠١